HNSJ Humanitarian & Natural Sciences Journal
ISSN: (e) 2709-0833
www.hnjournal.net
مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية
مجلة علمية محكمة

عنوان البحث

رسائل وتوجيهات الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) لقادة تحرير العراق (دراسة تاريخية تحليلية)

مديحة يعقوب يوسف يعقوب[1]

[1] الجامعة العراقية/ كلية التربية للبنات – قسم التاريخ

تاريخ القبول: 2020/11/29م تاريخ النشر: 2020/12/01م

المستخلص

لقد توصلت الدراسة الى اهمية الوصايا التحريرية لعراق المجد على يد الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) في تغيير مجرى الاحداث ودورها الكبير في صنع الانتصار وتحقيق هدف التحرير ، فقد تفوق القادة الميدانيين في مختلف جبهات القتال تفوقا واضحا على اعدائهم ، اذ نختم بوصية واحدة كنا قد بيناها في فحوى دراستنا هذه ماكان يخشاه الفاروق عمر (رضي الله عنه) على جنده وارتكابهم للمعاصي والذنوب حين قال : " ان ذنوب الجيش اخوف عليهم من عدوهم " فما احوجنا اليوم ان لانرتكب المعاصي والذنوب ولهذا الأمر يجب التذكير والتحذير لان العالم العربي والإسلامي يمر اليوم بأخطر مرحلة من التغييرات السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي يشنها أحفاد قادة الحركات الهدامة والشعوبية والعولمة ، والتي بالآخر ستنعكس سلبا على الحياة الاجتماعية والأخلاقية للمجتمع العربي والإسلامي . بالتالي ستؤثر على التنظيم العام للمجتمع وتلحق الضرر وتفسد العقيدة والسلوك .

RESEARCH ARTICLE

MESSAGES AND DIRECTIONS OF CALIPH OMAR BIN AL-KHATTAB (MAY GOD BE PLEASED WITH HIM) TO THE LEADERS OF THE LIBERATION OF IRAQ (ANALYTICAL HISTORICAL STUDY)

Madiha Yaqoub Youssef Yaqoub[1]

[1] Iraqi University / College of Education for Girls - Department of History

Accepted at 29/11/2020 **Published at 01/12/2020**

Abstract

The study has concluded the importance of the commandments of the liberation of Iraq of glory at the hands of Caliph Al-Rashidi Umar bin Al-Khattab (may God be pleased with him) in changing the course of events and their great role in making victory and achieving the goal of liberation. One that we have shown in the content of our study is what Al-Faruq Omar (may God be pleased with him) feared for his soldiers and their committing sins and sins when he said: & QUOT; The sins of the army are feared by their enemy & QUOT; How much we need today that we do not commit sins and sins, and this is why we must remind and warn that the Arab and Islamic world is going through the most dangerous stage of political, social and economic changes waged by the descendants of the leaders of destructive movements, which in the other will negatively affect the social and moral life of the Arab and Islamic society. Thus, it will affect the general organization of society, harm and corrupt belief and behavior.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الهدى وامام المتقين قائد الاولين والاخرين محمد بن عبدالله الصادق الامين وعلى آله واصحابه الغر الميامين رعاة الحق وائمة الدين ، حماة العقيدة وحملة المبادئ ورافعي رايات النصر المبين وبعد :

تعد وصايا الخليفة الراشدي الفاروق عمر (رضي الله عنه) للقادة العاملين في ساحات القتال وميادين العز والشرف والبطولة ارثا تاريخيا عظيما وثروة لاتنضب تنظر اليها الاجيال اللاحقة باجلال واكبار وتعدها المثل الاعلى والنموذج الافضل في القيادة ولوقوفنا على تلك الوصايا والتوجيهات العسكرية المؤطرة بحلاوة الايمان ولشعورنا بعظمة احد خريجي مدرسة الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) .

فكان رجال الامة من بعد الرسول (صلى الله عليه وسلم) رجال مبادئ وانصار عقيدة تخلدت اعمالهم وكتبت انجازاتهم باحرف من نور في تاريخ الامة المجيدة وماضيها المشرف ، ومن نتائج كبرى على صعيد العمل التحرري لعراق التأريخ والحضارة ولما لهذه الوصايا من حيز كبير في المعاني السامية والقيم النبيلة اذ اعطت للجانب المعنوي المرتبط بالعمل الصادق اهمية بالغة ودوراً بارزاً .

ولذلك بينا في هذه الدراسة دور الخليفة وهو القائد العام في تسيير هذه الاحداث ومتابعتها وتوجيهها في الاطار العام بما يتلائم وطبيعة الاهداف والغايات ، وكانت طريقتنا في كتابة هذه الدراسة باننا جعلناها كسلسلة واحدة غير منقطعة بمعنى لم تقسم الدراسة الى أي مباحث وذلك لترابط الحدث من خلال زمانه ومكانه .

وصايا الفاروق (رضى الله عنه)

لقد اهتم الفاروق (رضي الله عنه) بجبهة العراق إذ لم يكن له همة الا العراق [1] وذلك حين تولى الخلافة انتدب الناس مع المثنى بن حارثة الشيباني (رضي الله عنه) حسب وصية الصديق (رضي الله عنه) لكن الناس أبطئوا بالاستجابة لكون جبهة فارس من اكره الوجوه عند العرب فقام الفاروق (رضي الله عنه) في الناس خطيباً يحرضهم على الجهاد ويحثهم عليه فقال : إن الحجاز ليس لكم بدار إلا على النجعة ولا يقوى عليه أهله إلا بذلك سيروا في الأرض التي وعدكم اللّه في الكتاب أن يورثكموها فإنه قال : { لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّين

كُلِّه }[2] واللّه مظهر دينه ومعز ناصره ومولي أهله مواريث الأمم أين عباد اللّه الصالحون"[3]

فكان أول منتدب أبو عبيدة بن مسعود الثقفي فاختاره الخليفة لمنصب القيادة العامة في العراق [4]، بالرغم من كونه لم يكن صحابياً [5] فأوصاه الخليفة الفاروق (رضي الله عنه) وقال له : " إنك تقدم على أرض المكر! والخديعة والخيانة والجبرية ، تَقْدُم على قوم تجرءوا على الشر فعلموه ، وتناسوا. الخير فجهلوه ، فانظر كيف تكون ؟ وأحرز لسانك ، ولا تفشين سرك فإنّ صاحب السر ما يضبطه متحصن لا يؤتى من وجه يكرهه ، وإذا ضيعه كان بمضيعة " [6]، والذي استشهد في معركة الجسر هو وأربعة آلاف من المسلمين فخطب الخليفة بالناس وقال : "اللهم كل مسلم في حلِّ مني، أنا فئة كل مسلم، من لقي العدو فَفُظِع بشيء من أمره فأنا له فئة، يرحم الله أبا عبيد لو كان انحاز إليَّ لكنت له فئة " [7] فبالرغم من الحزن الشديد للخليفة الفاروق وأصحابه (رضي الله عنهم) قرر إرسال المدد والتهيؤ لمعركة أخرى لتكون فاصلة وتفتح الأبواب أمام حركة التحرر العربية ، فأرسل جرير بن عبد الله البجلي

ومعه اعداد كبيرة وأوصاه والمثنى بأن :" الا يعبروا بحراً ولا جسرا الا بعد ظفر " [8] ، فانسحب المثنى إلى البويب وبعد ان تكاملت الإمدادات استطاع ان يهزم الفرس في هذه المعركة [9]

وهذا الإجراء الأولي للخليفة يأتي بناءً لما كان على ارض الميدان من كون اعداد الجيش للطرفين لا تتناسب وعلى هذا على المحررين الانتظار لمدد القيادة العليا في المدينة فقد دعا الفاروق (رضي الله عنه) إلى التجنيد الإجباري لكون التحدي الكبير والموقف الميداني يتطلب حشد كل الإمكانيات البشرية والمادية والمعنوية لهذا الأمر فكتب الخليفة إلى عماله العرب " أن لا تدعوا أحداً له سلاح أو فرس أو نجدة أو رأي إلا انتخبتموه ثم وجهتم إلي والعجل العجل" [10].

وأعلن النفير العام للمسلمين أن يدركوا المسلمين في العراق، فقد رأى ببصره الثاقب حجم تلك الحشود، وضخامة المعركة، والآثار المترتبة عليها، فهمَّ في أول الأمر بالخروج بنفسه ، ففي أول يوم من المحرم من السنة الرابعة عشرة للهجرة ، خرج عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، حتى نزل على ماءٍ يدعى صرارا ، فعسكر به ولا يدري الناس ماذا يريد ، ثم نادى في الناس : الصلاة جامعة ، فلما اجتمع الناس سألهم رأيهم فيمن يسير على رأس الجيش للعراق فقال العامة : سرْ وسر بنا معك ، فدخل معهم في رأيهم فقال : استعدوا وأعدوا فإني سائر إلا أن يجيء رأي هو أمثل من ذلك ثم جمع أهل الرأي فاجتمع إليه وجوه أصحاب النبي (صلى الله عليه وسلم) ، فقال : أحضروني الرأي فإني حائر ، فأجمع ملؤهم على أن يبعث عمر(رضي الله عنه) رجلاً من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، ويقيم هو في المدينة ويرميه بالجنود ، فإن كان الذي يشتهي من الفتح فهو الذي يريدون ، وإلا أعاد رجلاً وندب جنداً آخر ، وفي ذلك ما يغيظ العدو ويشد أزر المسلمين حتى يجيء نصر الله ، فنادى عمر(رضي الله عنه) ثانية : الصلاة جامعة، فاجتمع الناس إليه ، وقام في الناس فقال : إن الله عز وجل قد جمع على الإسلام أهله فألف بين القلوب وجعلهم فيه إخوانا ، وكذلك يحق على المسلمين أن يكونوا ، وأمرهم شورى بينهم وبين ذوي الرأي منهم، فالناس تبع لمن قام بهذا الأمر ما اجتمعوا عليه ورضوا به لزم الناس وكانوا فيه تبعا لهم [11]،فقال عمر : فأشيروا علي برجل ، وكان سعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه) عاملاً لعمر (رضي الله عنه) على صدقات هوازن ، وكان فيمن كتب إليه عمر(رضي الله عنه) بانتخاب ذوي الرأي والنجدة ممن كان له سلاح أو فرس فجاء كتابه : إني قد جمعت لك ألف فارس كلهم له نجدة ورأي وصاحب حيطة يحوط حريم قومه ويمنع ذمارهم، إليهم انتهت أحسابهم فشأنك بهم ووافق كتابه مشورتهم، فقال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه : وجدته ، قال : من هو ؟ قال : الأسد في براثنه ، سعدُ ، ومالأه أولو الرأي، فانتهى عمر إلى رأيه، وأرسل إلى سعدٍ فقدم عليه وأمّره على حرب العراق، وأوصاه فقال : يا سعد بن وهيب، لا يغرنّك من الله أن قيل خال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وصاحبه، فإن الله عز وجل لا يمحو السيئ بالسيئ، ولكنه يمحو السيئ بالحسن، فإن الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا طاعته شريفهم ووضيعهم في ذات الله سواء، الله ربهم وهم عباده يتفاضلون بالعاقبة ويدركون ما عند الله بالطاعة، فانظر الأمر الذي رأيت النبي صلى الله عليه وسلم عليه منذ بُعث إلى أن فارقنا فألزمه فإنه الأمر، هذه عظتي إياك إن تركتها ورغبت عنها حبط عملك وكنت من الخاسرين "[12].

فسار سعد (رضي الله عنه)على تعبيته والكتب بينه وبين عمر(رضي الله عنه) متواصلة ثم جاء من عمر (رضي الله عنه) كتاب آخر قال فيه : " أما بعد، فعاهد قلبك وحادث جندك بالموعظة والنية الحسنة والصبر الصبر، فإن المعونة تأتي من الله على قدر الحسنة والحذر الحذر على ما أنت عليه وما أنت بسبيله، واسألوا الله العافية وأكثروا من قول لا حول ولا قوة الا بالله، واكتب إلي أين بلغ جمعهم ومن رأسهم الذي يلي مصادمتكم، فإنه منعني من بعض ما أردت الكتاب به قلة علمي بما هجمتم عليه والذي استقر عليه أمر عدوكم، فصف لنا منازل المسلمين والبلد الذي بينكم وبين المدائن صفة كأني أنظر إليها واجعلني من أمركم

على الجلية، وخفِ الله وارجه ولا تدل بشيء، واعلم أن الله قد وعدكم وتوكل لهذا الأمر بما لا خلف له واحذر أن تصرفه عنك ويستبدل بكم غيركم " [13].

مما تقدم حول اختيار قائد لحملته على تحرير العراق يعطينا مدى الحرص الشديد من صحابة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على المشورة والتشاور في أمر خطير إذ ان جبهة العراق فيها من العناية الفائقة من لدن الخليفة إذ أراد قيادة الجيش بنفسه لتحريره من الطغمة الفارسية ، الا ان وقع الاختيار على سعد بن أبي وقاص " الأسد في براثنه "، كما وصفه عبد الرحمن بن عوف (رضي الله عنه)، والملاحظ أيضا انه حين أوصاه " لا يغرنّك من الله أن قيل خال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وصاحبه[14] " وإنها لموعظة بليغة من خليفة راشد عظيم فقد أدرك عمر (رضي الله عنه) جانب الضعف الذي يمكن أن يؤتى سعد من قبله وهو أن يُدلي بقرابته من النبي (صلى الله عليه وسلم) فيحمله ذلك على شيء من الترفع على المسلمين ، وذكره الخليفة أن عُدة الخير الصبر، وذلك أن طريق الخير ليس مفروشاً بالورود، بل هو طريق شاق شائك، يتطلب عبوره جهاداً طويلاً، فلابد لسالكه من الاعتداد بالصبر وإلا انقطع في أثناء الطريق، كما وانه ذكره أن خشية الله تعالى تكون في طاعته واجتناب معصيته ، وذكره من حقائق القلوب السرّ، وجعل علامته ظهور الحكمة من قلب المسلم على لسانه، وأن يكون محبوباً بين إخوانه المسلمين، فإن محبة الله تعالى لعبده مترتبة على محبة المسلمين له، لأن الله تعالى إذا أحب عبداً حببه لعباده.

فكتب إليه سعد (رضي الله عنه) يصف له البلدان :" القادسية [15]بين الخندق والعتيق، وأن ما عن يسار القادسية بحر أخضر في جوف لاح إلى الحيرة بين طريقين، فأما أحدهما فعلى الظهر وأما الآخر فعلى شاطئ نهر يدعى الحضوض ، يطلع بمن سلكه على ما بين الخورنق والحيرة ، وأن ما بين عين القادسية إلى الولجة فيض من فيوض مياههم ، وأن جميع من صالح المسلمين من أهل السواد قبلي إلب لأهل فارس قد خفوا لهم واستعدوا لنا ، فهم يحاولون إنغاضنا وإقحامنا ونحن نحاول إنغاضهم وإبرازهم وأمر الله بعد ماض وقضاؤه مسلم إلى ما قدر لنا وعلينا فنسأل الله خير القضاء وخير القدر في عافية " [16].

فكتب إليه عمر الفاروق (رضي الله عنه) : " قد جاءني كتابك وفهمته فأقم بمكانك حتى ينغض الله لك عدوك، واعلم أن لها ما بعدها فإن منحك الله أدبارهم فلا تنزع عنهم حتى تقتحم عليهم المدائن فإنه خرابها إن شاء الله " [17] إذ ان الخليفة يدير المعركة من المدينة النبوية، ولا يكف عن مراسلة الجيش وحثهم على الشهادة والثبات، حتى إنه أرسل إليهم مثبتاً، وباعثاً لهم على التفاؤل بالنصر، وقائلاً : " إني ألقي في روعي أنكم إذا لقيتم العدو هزمتموهم"[18].

ولكي نقف على تلك الاستعدادات لنرى هذه الوصية الكبيرة والرائعة للقائد الميداني وجنده من القائد الأعلى لنرى مدى حرص واهتمام الخليفة (رضي الله عنه) بأمر المتابعة لما فيها من إرشادات تعطي الجانب الإيماني والروحي والمعنوي قدراً كبيراً من الأهمية ونصها : " كتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما ومن معه من الأجناد: أما بعد، فإني آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال، فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو، وأقوى المكيدة في الحرب. وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراساً من المعاصي منكم من عدوكم، فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم. وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة؛ لأن عددنا ليس كعددهم، ولا عدتنا كعدتهم، فإن استوينا في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة، وإلا ننصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا. واعلموا أن عليكم في مسيركم حفظة من الله يعلمون ما تفعلون، فاستحيوا منهم، ولا تعملوا بمعاصي الله وأنتم في سبيل الله، ولا تقولوا إن عدونا شر منا فلن يسلط علينا وإن أسأنا، فرب قوم قد سلط عليهم شر منهم كما سلط على بني إسرائيل، لما عملوا بمساخط الله، كفار المجوس فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً. واسألوا الله

العون على أنفسكم، كما تسألونه النصر على عدوكم. أسأل الله ذلك لنا ولكم. وترفق بالمسلمين في مسيرهم ولا تجشمهم مسيراً يتعبهم، ولا تقصر بهم على منزل يرفق بهم، حتى يبلغوا عدوهم والسفر لم ينقص قوتهم، فإنهم سائرون إلى عدو مقيم حامي الأنفس والكراع. وأقم ومن معك في كل جمعة يوم وليلة، حتى تكون لهم راحة يحيون فيها أنفسهم، ويرمون أسلحتهم وأمتعتهم ونح منازلهم عن قرى أهل الصلح والذمة، فلا يدخلها من أصحابك إلا من تثق بدينه، ولا يرزأ أحداً أهلها شيئاً، فإن لهم حرمة وذمة ابتليتم بالوفاء بها كما ابتلوا بالصبر عليها، فما صبروا لكم فتولوهم خيراً. ولا تستنصروا على أهل الحرب بظلم أهل الصلح. وإذا وطئت لأرض العدو فأذك العيون بينك وبينهم، ولا يخف عليك أمرهم. وليكن عندك العرب أو من أهل الأرض من تطمئن إلى نصحه وصدقه، فإن الكذوب لا ينفعك خيره، وإن صدقك في بعضه، والغاش عين عليك وليس عينا لك. وليكن منك عند دنوك من أرض العدو أن تكثر الطلائع وتبث السرايا بينك وبينهم، فتقطع السرايا أمدادهم وموافقهم، وتتبع الطلائع عوراتهم. وانتق للطلائع أهل الرأي والبأس من أصحابك، وتخير لهم سوابق الخيل. فإن لقوا عدوا كان أول ما تلقاهم القوة من رأيك، واجعل أمر السرايا إلى أهل الجهاد والصبر على الجلاد، لا تخص بها أحداً يهوى، فيضيع من أمرك ورأيك أكثر مما حابيت به أهل خاصتك. ولا تبعثن طليعة ولا سرية في وجه تتخوف عليها فيه غلبة أو ضيعة ونكاية. فإذا عاينت العدو فاضمم إليك أقاصيك وطلائعك وسراياك، واجمع إليك مكيدتك وقوتك، ثم لا تعاجلهم المناجزة، ما لم يستكرهك قتال، حتى تبصر عورة عدوك ومقالته، وتعرف الأرض كلها كمعرفة أهلها بها، فتصنع بعدوك كصنعه بك. ثم أذك أحراسك على عسكرك، وتيقظ من البيات جهدك. ولا تؤتي بأسير ليس له عقد إلا ضربت عنقه، لترهب بذلك عدو الله وعدوك. والله ولي أمرك ومن معك، وولي النصر لكم على عدوكم، والله المستعان"[19].

ان هذه الوصية كما تقدم من أروع الوصايا وذلك من خلال من نستنتج منها الآتي

1. ان أمير المؤمنين الفاروق (رضي الله عنه) بدأ بكلمة الأمر آمرك في صياغة قوية تحمل كل معاني الإصرار والتصميم، وتمتد لتشمل كل الأجناد كي تؤكد مسئولية القائد عن كل فرد في جيشه.
2. يخاطب عمر (رضي الله عنه) قائد الجيش بلهجة "الأمر"، وليس بصيغة النصيحة أو الوصية فحسب، فيقول: "إني آمرك ومن معك بتقوى الله". وجاء الأمر بتقوى الله لأن تقوى الله عامة شاملة يمكن أن تتفرع عنها جميع قواعد قانون الحرب وآداب القتال في الإسلام، وهكذا تشمل التقوى فيما تشمل: العدالة، منع الظلم، منع الفساد والاعتداء على الأعراض، معاملة العدو بروح إنسانية إلى غيره من الأمور، ولمس عمر (رضي الله عنه) كبر الحقيقة عندما رأى في تقوى الله أسَّ الأسس التي يجب أن يتمسك بها المسلمون في حربهم، لأنها "أفضل العدة على العدو" وهي أساس التماسك والروح المعنوية في الجيش الإسلامي، ويرفع عمر (رضي الله عنه) "التقوى" من حيث أهميتها في القيادة نحو النصر، إلى منزلة المكائد الحربية التي يقوم بها كل جيش في سبيل الإيقاع بالعدو.
1. ثم عمد إلى توضيح الركيزة الأولى لتحقيق النصر ووضعها موضع الصدارة في توجيهاته، حيث وجه قائد جيشه وجنوده من ورائه إلى أن العقيدة الراسخة والإيمان القوي والاستمساك بأوامر الحق سبحانه وتعالى هي طريق المسلمين إلى النصر. وفسر في إيجاز وبلاغة فأثبت أن نتائج المقارنة المادية للقوات بشريا وتسليحا لن تكون بحال في صالح المسلمين، وأن " تقوى الله " هي وسيلتهم كي يميل ميزان القوى لصالحهم. ولا شك أن وقع هذه المقدمة على إيجازها لا يدانيه وقع عبارات " التوجيه المعنوي" التي لا تقوم على العقيدة والتي تتصدر تعليمات وأوامر القتال والعمليات في الحرب الحديثة ، إضافة لما تقدم عدة الإيمان والتقوى في قمة الأولويات التي يجب ان تتهيأ لمن يقاتل في سبيل الله ، فمن كان مع الله كان الله معه لا يخذله ولا يوهنه وهو ناصر على من عاداه أو ناوئه ، قال تعالى : { وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ }[20]، ولنقف مثلاً على فقرة من النص أعلاه " وأن ذنوب الجيش أخوف عليهم من

عدوهم " هذا التحذير الشديد من الخليفة عمر الفاروق (رضي الله عنه) ما كان ليكون لولا خوفه على المسلمين وخشيته على هذا الدين وأهله .

2. بل إن عمر (رضي الله عنه) يأمر قائد الحملة والأجناد الذين معه بأن يكونوا أشد احتراساً من المعاصي من احتراسهم عند لقاء العدو، لأن قلة الاحتراس عند لقاء العدو يمكن استدراكها لاحقاً، وأما المعاصي فهي وباء يصعب اقتلاعه إذا استشرى في قلب الجند، ويتابع عمر (رضى الله عنه) وصيته فيبين لقائد الحملة وأفرادها أن ارتكاب العدو للمعاصي هو السلاح الأساسي الذي يمكِّن جند المسلمين من الانتصار عليه، وأنه لولا هذا الأمر لكانت الغلبة له ، لأن المسلمين لم يكونوا مساوين للعدو في القوة سواءً نظرنا إلى الأمر من زاوية "العدد "أم من زاوية العتاد "العُدة"، وعلى هذا فإن النصر لن يكون حليفاً لجيش المسلمين إذا تساوى مع جيوش الكفار في معصية الله، وإذا كانت القوة الإسلامية ليست كافية للوقوف في وجه القوة المعادية، فإن تمسك المسلمين بالفضيلة هو السلاح الذي سيمكنهم من النصر عليهم، يجب ألا يخامر المسلمين المقاتلين أي شك في وجود "رقابة عليا" عليهم وعلى تصرفاتهم، فهناك "حفظة من الله يعلمون كل ما يفعلونه ويقومون به"، ولهذا يجب أن يخجل هؤلاء المقاتلون من القيام بأي عمل لا يأتلف مع التقوى الإسلامية والأخلاق الإسلامية، ويستخدم عمر (رضي الله عنه) هنا سلاح المنطق فيقول: لا يُعقل في جند يحارب في سبيل الله أن يرتكب معصية تغضب الله لأن في هذا قضاء كاملاً على الثواب الذي يحلم به، ولا يعفى المسلمون من التقيد بمبادئ الفضيلة والتقوى في حالة منازلتهم لعدو ظالم يرتكب المعاصي، لأن الله سبحانه وتعالى قد يبلو الظالم بمن هو أشد ظلماً منه، وذلك كما فعل ببني إسرائيل لما ارتكبوا المعاصي فسلط عليهم من هو أظلم منهم ولذلك يشير عمر (رضي الله عنه) إليهم باسم المجوس.

3. يطلب عمر (رضي الله عنه) من سعد في بداية الوصية أن يترفق بالمسلمين في السير، وذلك خيفة على جند المسلمين وعلى روحهم المعنوية حيث إن المسافة بين الحجاز والعراق طويلة (نحو 1500كم) والغاية من هذا هي وصول المسلمين إلى عدوهم وهم على أحسن حال من النشاط وموفور القوة، لأن السفر الطويل دون راحة يجعلهم أقل قدرة على القتال من العدو المقيم في أرضه والذي غالباً ما يكون قوياً بجنده وعتاده "حامي النفس والكراع".

4. ثم يوصي عمر (رضي الله عنه) سعداً (رضي الله عنه) بأن يعسكر بجنده مدة يوم وليلة والمقصود هنا نهار وليلة أي 24 ساعة (في كل أسبوع، وذلك لكي يعتني الجند بنظامهم وصيانة أسلحتهم، وهذا نظر صائب فيما نعتقد، ولاسيما إذا أخذنا في الحسبان المشقة التي كان يسببها السفر في تلك الأيام وتلك الظروف. وبالطبع ليس هناك ما يمنع من اختصار مدة الراحة هذه إذا دعت لذلك أسباب مهمة، كما حصل لخالد بن الوليد عندما انطلق بجنده من العراق إلى الشام، فقطع المسافة بمدة أسبوع دون أي توقف.

5. ويوصي عمر (رضي الله عنه) قائده بأن يُبعد أماكن عسكرة جنده عن قرى أهل الصلح وهم من ارتبطوا بعهد صلح مع المسلمين يسمح بنشر الدعوة الإسلامية في بلادهم مقابل حماية المسلمين لهم وعدم المساس بحريتهم في عقيدتهم وتأدية مراسم عباداتهم. والغاية من ذلك تجنب اعتداء أحد أفراد جند المسلمين على واحد من أهالي دار الصلح في شخصه أو ماله أو عرضه. وإذا اضطر قائد الجيش الإسلامي لإرسال بعض جنده إلى بلدة من بلاد أهل الصلح فيجب أن يختار لذلك من يثق الثقة التامة في دينه، لأن عقد الصلح ينشئ حقوقاً وواجبات متبادلة، وفي هذا يقول عمر (رضي الله عنه): "فإن لهم حرمة وذمة ابتليتم بالوفاء بها كما ابتلوا بالصبر عليها، فما صبروا لكم فتولوهم خيراً". وهذه العبارة في وصية عمر (رضي الله عنه) مشتقة من الآية الكريمة: {إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئاً وَلَمْ يُظَاهِرُواْ عَلَيْكُمْ أَحَداً فَأَتِمُّواْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ } [21].

6. وأما عبارة "ولا تستنصروا على أهل الحرب بظلم أهل الصلح" فتحوي مبدأ يشكل واحداً من أهم مبادئ القانون الدولي في هذا العصر، إذ إنه لا يجوز لقائد الجيش الإسلامي أن يضحي بأرواح سكان دار الصلح أو بأموالهم أو حتى بحقوقهم المعنوية في سبيل التمكن من الانتصار على سكان دار الحرب . دار الحرب . هي الأقطار المتاخمة لدار الإسلام التي لم يرض أهلها الدخول في الإسلام ولا عقد صلح مع المسلمين، فإذا عقدوا مثل هذا الصلح أصبحوا دار صلح، وإذا لم يرضوا ذلك بقوا دار حرب، وإذا فتحت دار الإسلام أراضيهم عنوة يصبحون جزءاً من دار الإسلام) ، وهذا المطلب الأخلاقي يستند بلا ريب إلى الأحكام الأساسية في الإسلام ولاسيما إلى الآية الكريمة: { وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً }[22] .
7. ثم يوصي عمر (رضي الله عنه) قائد جيشه بأن يعمل بمجرد دخوله أرض العدو إلى بث عناصر. الاستخبارات . إذكاء العيون وذلك لئلا يخفى عليه من أمر عدوه شيء. وينصح عمر (رضي الله عنه) في هذا المجال بالاستعانة من المسلمين أو حتى من أبناء المنطقة المفتوحة "أهل الأرض" بشرط أن يكون من الموثوقين.
8. ولكي يكون عنصر الاستخبارات موثوقاً ينبغي أن يكون صادقاً، فهو إذا كان كاذباً أو غاشاً فإن ضرره لابد أكثر من نفعه لأنه قد يكون عندئذ عيناً للعدو أكثر من أن يكون عيناً للصديق، أو كما يقول عمر (رضي الله عنه) نفسه: "الغاش عين عليك وليس عيناً لك"، وبهذا يكون عمر (رضي الله عنه) قد فطن منذ ذلك الوقت إلى احتمال وجود عملاء الاستخبارات المزدوجين ممن يعملون لنا وللعدو في الوقت نفسه.
9. ثم يوصي عمر (رضي الله عنه) سعداً (رضي الله عنه) بالإكثار من الحذر عند الدنو من جيش العدو، وذلك بالإكثار من الطلائع والسرايا وهي الوحدات المتقدمة من الجيش. ومهمة (الطلائع) تختلف جزئياً عن مهمة (السرايا) وذلك أن المهمة الرئيسية للطلائع هي الاستطلاع لمعرفة الثغرات الموجودة في جيش العدو "وتتبع الطلائع عوراتهم". وأما السرايا فمهمتها الرئيسية هي الاشتباك مع العدو، ولاسيما القضاء على "إمداداته ومرافقه" قبل وصولها إليه.
10. وبما أن لوحدات الطلائع مهمات خاصة لذا يجب انتقاء "أهل الرأي والبأس" لها، وهذا يعني اختيار جندها من الأقوياء الشجعان ذوي التدبير والحيلة، حتى إذا اصطدم بهم العدو كانت هذه العناصر الجيدة، المتمرسة هي أول ما يصطدم به من القوات الصديقة، وهذا نظر صائب وسليم، وحكمة لا تزال حتى اليوم واجبة التنفيذ.
11. ويجب انتقاء عناصر السرايا بالعناية نفسها، حيث أن هؤلاء يلزم أن يكونوا من أهل الجهاد والصبر على الجلاد"، كما يجب أن تُسند قيادتهم إلى أحد الشجعان الميامين. وعلى أمير الجيش أن يتحاشى محاباة أحد أقاربه أو رجال خاصته فيعينه لهذه المهمة إذا لم يكن أهلاً لها، وذلك لأن الضرر الذي سيسببه هذا التعيين يفوق بكثير المنفعة التي يمكن أن تحققها المحاباة والمصلحة الخاصة اللتان دفعتاه لهذا التعيين.
12. وإذا كان أفراد وحدات الطلائع والسرايا من المتمرسين في شؤون الجهاد والجلاد، فهذا لا يعني أن بوسع الأمير أن يلقي بهم إلى التهلكة، بل عليه أن يتجنب إرسال طليعة أو سرية في مهمة تتعرض فيها إلى الهزيمة أو الضياع كما يقول عمر (رضي الله عنه) في وصيته:" ولا تبعثن طليعة ولا سرية في وجه تتخوف فيه غلبة أو ضيعة أو نكاية".
13. ويربط عمر (رضي الله عنه) رضي الله عنه في وصيته بين نوعي الجهاد: الجهاد الأصغر بمنازلة العدو والانتصار عليه والجهاد الأكبر بالتغلب على نزوات النفس وشهواتها فيقول: "اسألوا الله العون على أنفسكم كما تسألونه النصر على عدوكم"، ولا يستثني نفسه من هذا الدعاء حيث يتوجه إلى الله تعالى بقوله: "اسأل الله تعالى ذلك لنا ولكم".

14. وعند حدوث التَمَاس مع العدو ينصح الخليفة عمر (رضي الله عنه) أمير جيشه بأن يعمل على تجميع قواته وتقليل جبهة انتشارها، وذلك لئلا يستفرد العدو بسرية منعزلة في المقدمة أو المجنبة فيقضى عليها بسهولة، وكذلك للتمكن من حشد كامل القوى الصديقة وزجها في المكان المناسب من جهة أخرى.
15. وينصح عمر (رضي الله عنه) سعداً (رضي الله عنه) بألا يبدأ هو مُناجزة العدو –أي مقاتلته– وبأن يترك للعدو مهمة البدء بالخطوة الأولى. والغاية من ذلك لكي يبصر الأمير "عورة عدوه ومقاتله" –أي نقاط ضعفه– فيوجه قوته الضاربة باتجاهها. ويبقى للأمير مع ذلك حق البدء بمناجزة العدو "إذا استكرهه قتال"، أي إذا دعت لذلك ضرورة قتالية معينة، كأن يستغل فرصة سانحة لمفاجأة العدو وأخذه على حين غرة، وقديماً قيل" الهجوم خير وسائل الدفاع".
16. ومن الطبيعي أن الهجوم على العدو يجب ألا يتم إلا حسب خطة حربية معينة، وهذه الخطة يتم وضعها دوماً بمراعاة عدة عناصر أهمها عدد العدو وتسليحه، وعدد الصديق وتسليحه، والهدف من المعركة، والوقت الذي تتم به، وطبيعة الأرض. وقد ركز عمر (رضي الله عنه) في وصيته على هذا العامل الأخير فنصح سعداً (رضي الله عنه) بأن "يعرف الأرض كلها كمعرفة أهلها"، وذلك لكي تأتي خطته الحربية متلائمة مع المعطيات التي تكفل نجاحها.
17. وأخيراً ينصح عمر (رضي الله عنه) قائده أن يأخذ حذره من المفاجآت الليلية: "ويتيقّظ من البيات جهدك"، ويكون ذلك بأخذ الحيطة والإكثار من العسس (الحرس الليلي) وبث الكمائن حول معسكر المسلمين.
18. وينهي الخليفة عمر (رضي الله عنه) وصيته بالدعاء لسعد بن أبي وقاص بأن يكون الله وليه– أي نصيره– وولي جنده الذين معه، وبأن يقودهم إلى النصر على العدو وعند لقائهم به، وقد تمَّ هذا النصر بالفعل في معركة القادسية عام 14 للهجرة.

أقام سعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه) في القادسية شهراً، ثم بعث عيوناً إلى أهل الحيرة فرجعوا إليه بالخبر بأن ملك الفرس قد ولّى رستم حربه وأمَّره بالعسكرة فكتب بذلك إلى عمر فكتب إليه عمر (رضي الله عنه):" لا يكربنَّك ما يأتيك عنه ولا ما يأتونك به فاستعن بالله وتوكل عليه وابعث إليه رجالا من أهل المنظرة والرأي والجَلَد يدعونه فإن الله جاعلٌ دعاءَهم توهيناً لهم وفلجاً عليهم واكتب إلي في كل يوم " [23]

فجمع سعدٌ (رضي الله عنه) نفراً من أهل الرأي والمنظرة والجلد منهم النعمان بن مقرن والأشعث بن قيس و عاصم بن عمرو وعمرو بن معد يكرب و المغيرة بن شعبة ، والمغيرة بن زرارة (رضي الله عنهم)، ثم بعثهم دعاة إلى كسرى ملك الفرس، فاستأذنوا على كسرى فأذن لهم، وخرج أهل البلد ينظرون إلى أشكالهم وأرديتهم على عواتقهم وسياطهم بأيديهم، والنعال في أرجلهم، وخيولهم الضعيفة، وخبطها الأرض بأرجلها، وجعلوا يتعجبون منها غاية العجب، كيف مثل هؤلاء يقهرون جيوشهم مع كثرة عَدَدِها وعُدَدِها.فلما دخلوا عليه أمر الترجمان بينه وبينهم فقال : سلهم ما جاء بكم ؟ وما دعاكم إلى غزونا والولوع ببلادنا ؟ أمن أجل أنّا تشاغلنا عنكم اجترأتم علينا ؟ فقال النعمان بن مقرن رضي الله عنه :" إن الله رحمنا فأرسل إلينا رسولاً يدلنا على الخير ويأمرنا به ويعرفنا الشر وينهانا عنه ووعدنا على إجابته خير الدنيا والآخرة فعرفنا جميعا فضل ما جاء به على الذي كنا عليه من العداوة والضيق،ثم أمر أن نبدأ من يلينا من الأمم فندعوهم إلى الإنصاف فنحن ندعوكم إلى ديننا وهو دينٌ حسّن الحسن وقبّح القبيح كله، فإن أبيتم فأمر من الشر هو أهون من آخَرَ شرٍ منه الجِزاء فإن أبيتم فالمناجزة فإن أجبتم إلى ديننا خلّفنا فيكم كتاب الله على أن تحكموا بأحكامه ونرجع عنكم وشأنكم وبلادكم وإن اتقيتمونا بالجِزاء قبلنا ومنعناكم،وإلا قاتلناكم "[24].

فقال يزدجرد : إني لا أعلم في الأرض أمّة كانت أشقى ولا أقل عددا ولا أسوأ ذات بين منكم ، قد كنا نوكل بكم قرى الضواحي فيكفوننا غاراتكم لا تغزوكم فارس ولا تطمعون أن تقوموا لهم فإن كان غرور لحقكم فلا يغرنكم منا وإن كان الجهد دعاكم فرضنا لكم

قوتاً إلى خصبكم وأكرمنا وجوهكم وكسوناكم وملَّكنا عليكم ملكا يرفق بكم فرد عليه المغيرة بن زرارة رضي الله عنه :" انك قد وصفتنا صفة لم تكن عالماً بها ، فأما ما ذكرت من سوء الحال فما كان أسوأ حالاً منا، وأما جوعنا فلم يكن يشبه الجوع ، كنا نأكل الخنافس والجعلان والعقارب والحيات فنرى ذلك طعامنا، وأما المنازل فإنما هي ظهر الأرض ولا نلبس إلا ما غزلنا من أوبار الإبل وأشعار الغنم ، ديننا أن يقتل بعضنا بعضا ويغير بعضنا على بعض ، فكانت حالنا قبل اليوم على ما ذكرت لك ، فبعث الله إلينا رجلا معروفا نعرف نسبه ونعرف وجهه ومولده، فأرضه خير أرضنا وحسبه خير حسبنا ، فقذف الله في قلوبنا التصديق بما جاء به وأتباعه، فصار فيما بيننا وبين رب العالمين، فما قال لنا فهو قول الله، وما أمرنا فهو أمر الله، فقال لنا : إن ربكم يقول : " إني أنا الله وحدي لا شريك لي كنت إذا لم يكن شيء وكل شيء هالك إلا وجهي وأنا خلقت كل شيء وإلي يصير كل شيء وإن رحمتي أدركتكم فبعثت لكم هذا الرجل ليدلكم على السبيل التي بها أنجيكم بعد الموت من عذابي ولأحلكم دار السلام " ، فنشهد عليه أنه جاء بالحق من عند الحق وقال : " من تابعكم على هذا فله مالكم وعليه ما عليكم ومن أبى فاعرضوا عليه الجزية ثم امنعوه مما تمنعون منه أنفسكم ومن أبى فقاتلوه ، فأنا الحكم بينكم فمن قتل منكم أدخلته جنتي ومن بقي منكم أعقبته النصر على من ناوأه ، فاختر إن شئت الجزية عن يدٍ وأنت صاغر ، وإن شئت فالسيف ، أو تسلم فتنجي نفسك . " فاستشاط ملك الفرس ، وهو في أبهته وبين أعظم قواده وعلى أرضه أن يقال له هذا الكلام من بدوي مرقع الثياب. فقال: أتستقبلني بمثل هذا ؟ ثم قال: لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتكم ، لا شيء لكم عندي، ارجعوا إلى صاحبكم فأعلموه أني مرسل إليه رستم حتى يدفيه ويدفيكم معه في خندق القادسية، وينكل به وبكم ، ثم قال يزدجرد : ائتوني بوقرٍ من تراب ، واحملوه على أشرف هؤلاء : ثم قال : من أشرفكم فسكت القوم ، وافتات ليأخذ التراب : ثم قال عاصم أنا أشرفهم ، أنا سيد هؤلاء فحملنيه ، فقال : أكذلك هو قالوا : نعم ، فحمله على عنقه فخرج من الإيوان والدار حتى أتى راحلته فحمله عليها ، ثم انجذب في السير حتى دخل وصحبه على سعد واخبروه الخبر فقال سعد :" أبشروا فقد أعطانا الله أقاليد ملكهم " [25] .وأخذ المسلمون يزدادون في كل يوم قوه ويزداد عدوهم في كل يوم وهنا واشتد ما صنع المسلمون وصنع الملك على جلساء الملك وراح رستم من ساباط يسأله عما كان من أمره وأمرهم وكيف رآهم فقال الملك: ما كنت أرى أن في العرب مثل رجال رأيتهم دخلوا علي وما أنتم بأعقل منهم ولا بأحسن جوابا منهم وأخبره بكلام متكلمهم وقال : لقد صدقني القوم ، لقد وُعِدَ القوم أمراً ليدركنّه أو ليموتنّ عليه،على أني قد وجدت أفضلهم أحمقهم فقد ذكروا الجزية فأعطيته تراباً فحمله على رأسه وخرج به ولو شاء اتقى بغيره وأنا لا أعلم فقال رستم: أيها الملك إنه لأعقلهم لأنه أراد أن يفتدي القوم بنفسه فتطير بذلك وأبصرها دون أصحابه [26].

ولما تواجه الجيشان وبعد أن انتهت الموقعة بانتصار العرب المسلمين المحررين لأرض العراق كتب سعد (رضي الله عنه) إلى عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بالفتح وبعدّةِ من قتلوا ومن أصيب من المسلمين فقال : أما بعد فإن الله نصرنا على أهل فارس ومنحهم سنن من كان قبلهم من أهل دينهم بعد قتال طويل وزلزال شديد ، وقد لقوا المسلمين بعدة لم ير الرّاءون مثل زهائها فلم ينفعهم الله بذلك ، واتبعهم المسلمون على الأنهار وفي الفجاج وأصيب من المسلمين سعد بن عبيد القارئ ، وفلان وفلان ، ورجال من المسلمين لا نعلمهم ، الله بهم عالم وكانوا يدوون بالقرآن إذا جن عليهم الليل دوي النحل ، وهم آساد الناس لا يشبههم الا الأسود ولم يفضل من مضى منهم من بقي إلا بفضل الشهادة إذ لم تكتب لهم [27]

وكان عمر (رضي الله عنه) مشغول القلب بأمر القادسية، فكان في كل يوم يخرج يستخبر كل من لقيه من الركبان، ويخرج من المدينة إلى ناحية العراق يستنشق الخبر، فلما لقي البشير ، فسأله : من أين ؟ قال : من القادسية ، فقال له : يا عبد الله حدثني ، فقال : هزم الله العدو ، وعمر(رضي الله عنه) يجري وراءه ويستخبره والرجل يسير على ناقته ولا يعرفه ، حتى دخل المدينة وعمر ماشٍ تحت راحلته ، فجعل الناس يحيون عمر بإمرة المؤمنين ، فعرف الرجل عمر (رضي الله عنه)، فقال: يرحمك

الله يا أمير المؤمنين هلا أعلمتني أنك الخليفة؟ فقال: لا حرج عليك يا أخي ! فقام عمر(رضي الله عنه) في الناس فقرأ عليهم الفتح وقال : إني حريص على أن لا أدع حاجة إلا سددتها ما اتسع بعضنا لبعض ولوددت أنكم علمتم من نفسي مثل الذي وقع فيها ولست معلمكم إلا بالعمل ، إني والله ما أنا بملك فأستعبدكم وإنما أنا عبد الله عرض علي الأمانة "[28] .

والملاحظ في خطبة الخليفة القائد الأعلى للعرب المسلمين الفاروق عمر (رضي الله عنه) لم تكن عبارات عن شعارات يطلقها ليلهب بها حماس الناس أو وعود تقتظيها ظرف المرحلة ليكسب بها ثقتهم بل كانت أفعال مارسها طوال حياته قبل الخلافة وبعدها جملها الإيمان بالإسلام وحسنتها صحبة الرسول (صلى الله عليه وسلم)

هذه هي القادسية التي فتحت الطريق إلى إيوان كسرى في عاصمة ملكه ، ومهدت للقضاء على دولته، وكان لها في توجيه الحضارة أبلغ الأثر، بهزيمة الفرس وانتصار المسلمين تحقق ما أراده المسلمين واستطاعوا نشر الإسلام ، فضلاً عن القيادة الحكيمة للمسلمين التي كانت تتمثل بأوامر الخليفة وطاعة القائد الميداني وجنده .

بعد ان حقق الجيش العربي الإسلامي انتصاره في معركة القادسية ، وجه القائد الأعلى للعرب المسلمين الفاروق عمر (رضي الله عنه) القائد سعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه) بالمسير إلى المدائن حسب الوصية " ان منحك الله أدبارهم فلا تنزع عنهم حتى تقتحم عليهم المدائن فأنه خرابها ان شاء الله "[29] ، وحين تحرك الجيش المحرر اسقط كثير من المدن وهو في طريقه للمدائن ، فكتب سعد بن أبي وقاص لقائده الأعلى يخبره بخصوص الفلاحين الذين جمعهم ولم يقاتله احد منهم فأوصاه الخليفة بكتاب هذا نصه : " أن من أتاكم من الفلاحين إذا كانوا مقيمين على عهدكم ولم يعينوا عليكم عدوكم فلهم أمانهم ومن لم يأتكم وهرب منكم وأدركتموه فشأنكم وإياه افعلوا فيه ما شئتم " [30].

وهذا يعطينا مدى المرونة التي أعطاها الخليفة لقائده في الميدان ليقرر الإجراء الذي يراه مناسباً فنرى ان سعد بن أبي وقاص قد أخلى سبيلهم وأرسل وراء الدهاقين من يدعوهم إلى الإسلام والجزية فأجابوا إلى أداء الجزية [31].

وحقق الجيش المحرر مشاوره في الدخول إلى المدائن وأرسل سعد للخليفة الأخماس ويذكر المؤرخون انه " لما قدم بسيف كسرى على عمر ومنطقته وزبرجه قال إن أقواما أدوا هذا لذووا أمانة فقال علي إنك عففت فعفت الرعية " [32].

بعد المدائن واصل الجيش تقدمه إلى عدة مناطق من العراق فاخبر سعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه) الخليفة بأن يزدجرد بن كسرى هرب من المدائن إلى حلوان فأوصاه الخليفة بكتاب جاء فيه :" أقم مكانك ووجه إليهم جيشاً، فإن الله ناصرك ومتمم وعده " [33]، ثم وجه أوامره العسكرية إلى قائده الميداني بكتاب ينص على : " أن سرح هاشم بن عتبة إلى جَلُولاء في اثني عشر ألفًا واجعل على مقدمته القعقاع بن عمرو وعلى ميمنته سعد بن مالك وعلى ميسرته عمرو بن مالك بن عتبة وعلى ساقته عمرو بن مرة الجهني " [34].

والملاحظ هنا ان توجيه الخليفة بالقيادة دائما من هم لهم سابقة في الإسلام والشجاعة والبأس والحكمة والدراية في الحرب وهذا ما هو معروف عن دور الخليفة الفاروق (رضي الله عنه) فيمن ينتخبه من العمال والقادة والأمراء .

وتشير النصوص التاريخية ان هذا الجيش الذي عينه الخليفة لمواصلة تقدمه إلى المناطق التي حددت لهم ومكنهم الله منهم بعد ان ابلوا البلاء الحسن ولما ردوا فلولهم المنهزمة فدخل القعقاع خانقين وحلوان منتصراً ، وهرب يزدجر إلى الجبال [35] ، فكتب الخليفة لسعد ابن أبي وقاص (رضي الله عنهما) " إن هزم الله الجندين جند مهران وجند الأنطاق فقدم القعقاع حتى يكون

بين السواد وبين الجبل على حد سوادكم" [36]. وكتب كتابا آخر أوصاه فيه : " : إن فتح اللّه عليكم جلولاء فسرح القعقاع بن عمرو في آثار القوم حتى ينزل بحلوان فيكون ردءًا للمسلمين ويحرز اللّه لكم سوادكم " [37] .

فهزم أهل جلولاء وكتبوا إلى الخليفة بتحرير جلولاء " لوددتُ أنّ بين السواد وبين الجبل سَدًّا لا يخلصون إلينا ولا نُخلص إليهم ، حسبُنا من الريف السواد إنّي آثرتُ

سلامة المسلمين على الأنفال " [38].

فأمر بإقامة قواعد عسكرية إسلامية لها عدة وظائف ومهام والتي سبق وأشرنا إلى بعض منها بالإضافة إلى كونها مراكز حربية في مواقع إستراتيجية متقدمة على الحدود بينها وبين البلاد المفتوحة لترد أي عدوان خارجي وكمراكز تجمع للجند ولنشر الإسلام وكان في طليعتها مدينتا البصرة والكوفة في مجاورة الدولة الفارسية [39].

بعد المدائن جاء تحرير تكريت فبعد ان كتب سعد بن أبي وقاص يعلم فيه الخليفة عمر بن الخطاب(رضي الله عنهما) بأنه أهل الموصل اجتمعوا على رجل من الكفرة يقال له الانطاق ونزلوا بتكريت ومعهم الروم وأحلافهم من أياد وتغلب والنمر[40]، فكتب الخليفة له وأوصاه " أن سرح إلى الأنطاق عبد الله بن المعتم واستعمل على مقدمته ربعي بن الأفكل العنزي وعلى ميمنته الحارث بن حسان الذهلي وعلى ميسرته فرات بن حيان العجلي وعلى ساقته هانئ بن قيس وعلى الخيل عرفجة بن هرثمة " [41].

وقد انتصر العرب المسلمين في هذه المعركة ولم يفلت احد منهم ممن كان في الخندق الا من اسلم ، ونفذ عبد الله بن المعتم ما أوصى به الخليفة حيث أوصى سعد إلى " إن هم هزموا أن يأمر عبد الله بن المعتم بتسريح ابن الأفكل العنزي إلى الحصنين " [42].

واستطاع الجيش ان يحرر الموصل وإنهاء كل مقاومة فيها بعد ان تم التعاون مع قبائل العرب من تغلب وإياد ونمر. [43].

الخاتمة

لقد توصلت الدراسة الى اهمية الوصايا التحريرية لعراق المجد على يد الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) في تغيير مجرى الاحداث ودورها الكبير في صنع الانتصار وتحقيق هدف التحرير ، فقد تفوق القادة الميدانيين في مختلف جبهات القتال تفوقا واضحا على اعدائهم ، اذ نختم بوصية واحدة كنا قد بيناها في فحوى دراستنا هذه ماكان يخشاه الفاروق عمر (رضي الله عنه) على جنده وارتكابهم للمعاصي والذنوب حين قال : " ان ذنوب الجيش اخوف عليهم من عدوهم " فما احوجنا اليوم ان لانرتكب المعاصي والذنوب ولهذا الأمر يجب التذكير والتحذير لان العالم العربي والإسلامي يمر اليوم بأخطر مرحلة من التغييرات السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي يشنها أحفاد قادة الحركات الهدامة والشعوبية والعولمة ، والتي بالآخر ستنعكس سلبا على الحياة الاجتماعية والأخلاقية للمجتمع العربي والإسلامي . بالتالي ستؤثر على التنظيم العام للمجتمع وتلحق الضرر وتفسد العقيدة والسلوك .

الهوامش

1) ابن العبري ،ابو الفرج بن هارون (ت685هـ) ، تاريخ مختصر الدول ، المطبعة الكاثولوكية ، (بيروت ، 1958)، ص174.

2) سورة الفتح ،الآية 28.

3) ابن الجوزي. ابو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد بن علي.(ت 597هـ)، المنتظم في تاريخ الملوك والامم، تحقيق سهيل زكار ، دار الفكر والطباعة والنشر والتوزيع،(بيروت، 1995)، 99/4

4) البلاذري،أحمد بن يحيى بن جابر(ت279هـ) ، فتوح البلدان، دار النشر للجامعيين،(بيروت، 1377هـ/1957م) ، ص251 ؛ اليعقوبي ، ابن واضح أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب المعروف بابن واضح(ت292هـ)، تاريخ اليعقوبي، مطبعة الغرى ،(النجف، 1358هـ)، 120/2 .

5) الذهبي ، محمد بن أحمد بن عثمان (ت748هـ)، تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام، مكتبة القدس ، (القاهرة، 1947/1367)، ص78 .

6) الطبري ، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك(ت310هـ)، منشورات مؤسسة الأعلمي ببيروت ومؤسسة جوهر للطباعة والتصوير، الطبعة الرابعة،(بيروت، 1403هـ/1983م)، 67/4؛ ابن الأثير، علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري المعروف بابن الأثير(ت603هـ)، الكامل في التاريخ، دار صادر،(بيروت، 1399هـ/1979م) ،301/2 ؛ ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون(ت808هـ)، ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، المطبعة الكبرى، (مصر، 1284هـ) ، 311/2.

7) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، 302/2 .

8) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، 72/4.

9) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص254 ؛ خطاب ، محمود شيت ، فتح العراق والجزيرة ، دار القلم ،(القاهرة ، بلا. ت) ، ص37.

10) ابن الجوزي ، المنتظم ، 103/4 ؛ خطاب ، قادة فتح العراق والجزيرة ، ص231؛

11) ابن ابي الحديد ، عز الدين عبدالحميد بن هبة الله (ت656هـ) ، كتاب شرح نهج البلاغة، دار احياء التراث العربي ، (بيروت ، د. ت) ، 97/9.

12) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، 381/2 ؛ العظم ، رفيق ، أشهر مشاهير الإسلام في الحرب والسياسة،دار الرائد العربي ،(بيروت ، 1983) ، ج305/2..

13) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، 378/2.

14) ان الرسول (صلى الله عليه وسلم) قال " هذا خالي فليرني امرؤ خاله " ينظر : ابن سعد، محمد بن سعد الكاتب(ت230هـ)، الطبقات الكبرى، (ليدن ، مطبعة بريل 1321هـ) ، ج137/2 ؛ ابن حجر، أحمد بن علي بن محمد العسقلاني المعروف بابن حجر(ت852هـ) ، الإصابة في تمييز الصحابة ،(بيروت ، بلا. ت) ، ج83/3.

15) القادسية : سميت بذلك من التقديس وهو التطهير لأنها تطهر من الذنوب وقالوا إنما سميت القادسية لأنها نزلها قوم من أهل قادس من أرض خراسان . ينظر : البكري ، أبو عبد الله بن عبد العزيز (487هـ) ، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق : مصطفى السقا ، عالم الكتب ، (بيروت ، 1403هـ) ، 270/1 ؛ ياقوت الحموي , شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت ابن عبد الحموي (ت 626هـ) , معجم البلدان , مطبعة السعادة ، (القاهرة ،1906) ،291/4.

16) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، 387/2.

17) ابن كثير، اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي(ت774هـ)، البداية والنهاية، مكتبة المعارف ، الطبعة الخامسة،(بيروت ، 1404هـ/1984م)، 37/7 .

18) الطبري ، تاريخ ، 387/2 .

19) ابن عبد ربه الاندلسي، ابي عمر بن محمد (ت328 هـ) العقد الفريد، تقديم: خليل شرف الدين،دار مكتبة الهلال ،(بيروت ، 1968) ، ج130/1-131؛ النويري ، نهاية الإرب في فنون الأدب ، ج178/6-180

20) سورة الروم، جزء من الآية 47

21) سورة التوبة، الاية4.

22) سورة الإسراء ، جزء من الاية 34.

23) الطبري ، تاريخ ، 389/2 .

24) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك، 2/ 391 . ينظر : صفوت ، احمد زكي ، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة ، المكتبة العلمية ،(بيروت، بلا.ت) ، 240/1 .

25) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، 391/2 .

26) ابن كثير ، البداية والنهاية ، 38/7.

27) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، 426/2 .

28) ابن كثير ، البداية والنهاية ، 44/7.

29) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، 165/4؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ، 352/2؛ ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، 328/2.

30) الواقدي ، محمد بن عمر (ت207هـ) ، فتوح الشام، دار الجيل ، (بيروت ، بلا.ت) ، 198/2.

31) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، 168/4؛ ابن الأثير الكامل في التاريخ ، 355/2.

32) الواقدي ، فتوح الشام ، 207/2 ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، 177/4؛ ابن الأثير الكامل في التاريخ ، 361/2 ؛ ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج331/2 . ويشير ابن كثير إلى نص آخر بقوله : أن عمر لما نظر إلى ذلك قال إن قوما أدوا هذا لأمناء ، فقال له علي بن أبي طالب: إنك عففت فعفت رعيتك، ولو رتعت لرتعت . ينظر : البداية والنهاية ، 67/7.

33) الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ص394.

34) ابن الجوزي ، المنتظم ، 146/4 .

35) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، 182/4؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، 71/7؛ الدنيوري، ابو حنيفة أحمد بن داود(ت281هـ) ، الاخبار الطوال ، تحقيق : عبدالمنعم عامر ، (القاهرة ، 1960) ، ص129؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ص161؛ ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، 332/2 ؛ خطاب ، قادة فتح العراق والجزيرة ، ص295.

36) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، 182/4.

37) ابن الجوزي ، المنتظم ، 147/4 .

38) ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، 332/2؛ خطاب ، قادة فتح العراق والجزيرة ، ص296 .

39) ويذكر اليعقوبي قولا للفاروق عمر بحق جهة الروم لا يختلف كثيرا عن قوله على الحد الشرقي للامتنا العربية بقوله : " كان عمر رضي الله عنه من خوفه على المسلمين وحدود الدولة الإسلامية لاتساعها وكرهه لقتال الروم يقول إذا ذكر الروم: والله لوددت أن الدرب جمرة بيننا وبينهم لنا ما دونه وللروم ما وراءه " ينظر : تاريخ اليعقوبي ، 155/2.

40) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، 186/4 ؛ خطاب ، قادة فتح العراق والجزيرة ، ص345.

41) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، 186/4. بينما يذكر ابن الأثير النص الآتي : أن سرح إلى الأنطاق عبد الله بن المعتم العبسي، وعلى مقدمته ربعي بن الأفكل العنزي، وعلى الخيل عرفجة بن هرثمة البارقي : ينظر: الكامل في التاريخ ، 364/2.

42) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ص186 . ويعني الحصنين هما نينوى والموصل : ينظر : خطاب ، قادة فتح العراق والجزيرة ، ص351

43) خطاب ، قادة فتح العراق والجزيرة ، ص345.